الفقراء، وفيه قاعات فسيحة وحمامات وجنائن وغير ذلك من المنتزهات تسكنه ١٥٠ابنة يشتغلن بالخياطة، ونفقة معاشهن وكسوتهن كانت من مكارم هذه البارونة السخية. وفى سنة ١٨٦٩ أنشأت سوقاً شهيرة للفقرا فى حصة بثنال كرين نفقت على بنائها مبلغ ٢٥٠٠٠ليرة إنكليزية، وفرضت لها سنةً يستسنَّ بها أهل الباعة، ويلزمون نفوسهم ببيع مقتضيات المعاش والكسوه للفقرا بأسعار متهاودة، وفى سنة ١٨٦٤ أنشأت معبداً فى كاريل، ووضعت حجر آساسه الأول بيدها، وأنفقت على بنائيه مبلغ ٦٠٠٠ليرة. ثم أنشأت منزلاً رحبًا فى حصة شيردبُش بلندن لإصلاح شأن النسا اللاتى يتبن إلى الله عن سيئاتهن، وفى سنة ١٨٧٦ تبرعت بمبلغ وافر من الدراهم لإسعاف المصابين فى البلغار وفى سنة ١٨٧٧ تكرمت بمبلغ ألف ليرة لإمداد أهل القرى المصابين بغائلة الحرب العثمانية، ولم تقتصر شفقتها الوالدية على البشر بل قد صرفت همتها إلى مساعدة الحيوانات أيضاً، فقد أنفقت مبلغًا وافرًا من الدراهم لمساعدة أعضاء الجمعية المشكلة بلندن لمنع الأذى عن البهايم والقيام بأود معاشها. جزاها الله خيراً عن مساعيها الحميدة، وأكثر من أمثالها، فإنها نموذج صالحٌ حرى بأن يقتدى به أصحاب الثروة واليسار.

خسارة ربات الأقلام

خسرت ربَّات الأقلام امرأة تعدُّ فى المقام الأول بينهنَّ، بل بين أرباب الأقلام ورجال الأعمال وهى السيدة «ماريا مورغان» الفارسة الأميركية المشهورة.

ولدت فى جنوبى أيرلندا سنة ١٨٢٨ من أبوين من ذوى المقامات الرفيعة، وربيت على ظهور الصافنات الجياد منذ نعومة أظفارها، فلم تناهز العاشرة حتى صارت تسابق الفرسان وتكسب الرهان. ثم توفى أبوها، فانتقلت أملاكه كلها إلى بكره بحسب شريعة البلاد، فاضطرت أن تسعى لنفسها فى طلب رزقها. وكان لها أخت أصغر منها

تعلمت فنَّ التصوير، وأرادت أن تتقنه فى مدينة رومية أم المصورين ومرضعتهم، فذهبتا إليها سويةً وتعرَّفت هنالك بهريت هوسمر النحَّات الأميركى، وكان نزيلاً فى رومية وعندهُ كثير من جياد الخيل، فجعلت تركبها وتروِّضها حتى ذاع صيتها فى بلاد إيطاليا. ولما مضى عليها سنتان فى رومية قصدت مدينة فلورنسا، وكانت كرسى ملوك إيطاليا فدعاها الملك فكتور عمانوئيل إليه ورحَّب بها وأجلسها بجانبه، وجعل يحدثها بأمر الخيل فرآها من أعرف الناس بها فأقامها مديرةً على الاسطبلات الملكية، وبقيت فى هذا المنصب العالى سنين كثيرة. وكانت تذهب إلى إنكلترا وأرلندا من وقت إلى آخر لتبتاع له الجياد، وأهداها نجمًا من الماس وساعة من الذهب عليها اسمه بحجارة ماس لما رآه فيها من الهمة والاجتهاد.

وسنة ١٨٦٩ قصدت الولايات المتحدة الأميركية ومعها مكاتيب التوصية من سفير الولايات المتحدة فى إيطاليا إلى رجل من أخصائه، فوجدت أن الرجل قد مات فجأة قبل وصولها، فأسقط فى يدها ولم تعلم ماذا تعمل، وعرض عليها مدير جريدة التيمس التى تطبع فى مدينة نيويورك أن تنشئ له ما يكتب فى جريدته عن الخيول وأخبارها، فترددت فى قبول ذلك ولما لم تجد عملاً آخر يقوم بمعيشتها قبلته، وجعلت تتردد على أسواق الخيل وميادينها وتكتب فيها الفصول الضافية، وتصدَّت لها بقية الجرائد فى أول الأمر وسلقتها بألسنة حداد، ولكنها عادت فأثنت عليها بما هى أهلهُ لما رأت من بلاغة إنشائها وسمو مداركها ولين عريكتها وواسع خبرتها، وأقامت فى هذا المنصب أكثر من عشرين سنة، وكانت تكاتب كثيراً من الجرائد العلمية والأدبية واشتهرت ببلاغة الإنشاء وقوة الحجة، وكانت ثقة قومها فى معرفة الخيول، وزارت أوربا مراراً عديدة واختها المصورة برفقتها. ومنذ عهد غير بعيد أخذت تبنى داراً كبيرة وكانت تدفع نفقات البناء من المال الذى أحرزته بقلمها وأختها تعتنى بنقش الدار وتزويقها، ولكن عاجلتها المنية قبل أن تسكنها وهى فى الرابعة والستين من عمرها، وقد كتبت بقلمها على جبين الدهر «ليس دون الرجال النساء»

(المقتطف)